مهمّة مردخاي المعقّدة

بعد ١٨ شهراً على انطلاق الانتفاضة الشعبية في المناطق المحتلة، يغادر قائد المنطقة الوسطى في الجيش الاسرائيلي، الجنرال عميرام متسناع، موقعه لخلفه اسحق مردخاي، القادم من قيادة المنطقة الجنوبية، فيما اعتبره المراقبون، من جهة، انتصاراً للفلسطينيين، ومن جهة أخرى، مؤشراً الى مرحلة صعبة ومعقّدة، ربما استخدمت سلطات الاحتلال، خلالها، الحدّ الاقصى ممّا يتوفر لديها من وسائل قمعية دموية، في الوقت الذي دخل مستوطنو الضفة الفلسطينية مرحلة المشاركة الفعلية الجدية للجيش الاسرائيلي في عملياته ضد الفلسطينيين وانتفاضتهم. وهو تطوّر لا يقتصر على انعكاساته على أوضاع الفلسطينيين وحدهم، بل ترك بصمات عميقة شكّلت مأزقاً، لا ينبغي التقليل من شأنه واحتمالاته، للجيش والقيادة العسكرية الاسرائيلية، وكذلك الاوساط السياسية، وطرح «مبكراً» حسابات كانت مؤجلة بالنسبة الى اطراف كثيرة. وسط هذه التعقيدات التي اصبحت عنواناً مشتركاً لصيف المناطق المحتلة واسرائيل، على حدّ سواء، تستمر محاولات سلطات الاحتلال الضغط على المواطنين في المناطق المحتلة، تمهيداً لعبور أقل كلفة نحو تحقيق شعار «اسكات الانتفاضة»، على الرغم ممّا يبدو انه مستحيل حتى الآن. فالفلسطينيون الذين يدركون ان تموز (يوليو) من شهور السنة الحارّة، وان آب (اغسطس) لهّاب، كما يقولون، يدركون، ايضاً، ان في عبورهم هذا القطوع تبدأ مرحلة جديدة لصالحهم. لكنها مرحلة مرهونة بمجمل التطورات التي بدأت تظهر بوضوح، خلال حزيران (يونيو) الحالي.

المستوطنون؛ عقدة الطرفين

بدأ المستوطنون، مؤخراً، هجمة منظّمة وواسعة، خططوا لها مسبقاً ضد عدد من المدن والقرى والمخيمات في الضفة الفلسطينية المحتلة.

وعلى الرغم من كونها ليست المرة الاولى، فقد واجهت الهجمة الاخيرة ردود فعل داخل اسرائيل لم يسبق ان واجهتها اعتداءات مماثلة للمستوطنين، بسبب طابعها العنيف والاستفزازي الواضح، واستهدافها مواقع عربية أوسع، وتصادمها مع أسلوب عمل الجيش الاسرائيلي في المناطق المحتلة، الامر الذي فتح معركة كلامية دارت في الوسطين، الاستيطاني والمؤسسة العسكرية الاسرائيلية، وشارك فيها سياسيون واحزاب عدّة.

فاستناداً الى ما اعتبر فشلاً من جانب الجيش الاسرائيلي في سحق الانتفاضة، وعجزاً عن توفير حماية كافية للمستوطنين، بدأ عدد من هؤلاء، في الضفة الفلسطينية، «انتفاضة» خاصة بهم. ونظّم المتطرفون منهم، ويبلغ عددهم بضعة آلاف، حملة وحشية ضد قرى فلسطينية لتصعيد العنف في المناطق المحتلة، ووضع المستوطنين جميعاً في مواجهة مع الجيش الاسرائيلي. فقام حوالى أربعين مستوطناً، أواخر الشهر الماضي، بغارة تخريبية وحشية على قرية كفل حارس، قرب نابلس؛ فحطموا، واحرقوا، ممتلكات لمواطنين من اهاليها، واطلقوا النار على الحيوانات، وامطروا البيوت بعيارات نارية من اسلحتهم الاوتوماتيكية، فقُتلت، جراء ذلك، فتاة من القرية كانت تختبىء في بيت ذويها (جون د. هال، «انتفاضة خاصة بالمستوطنين المتطرفين»، القبس، الكويت، ١٩٨٩/٦/٢٨، نقلاً عن تايم، بدون ذكر تاريخ النشر). وأكدت مصادر الشرطة الاسرائيلية الرواية هذه. وأوردت، في التفاصيل، ان ثلاثين طالباً، من معهد قبر يوسف، في نابلس، دخلوا، بتاريخ ١٩٨٩/٥/٢٩، قرية كفل حارس، بعد أن خططوا لعملية عدوانية ضدها، واخذوا يطلقون النار في جميع الاتجاهات، واحرقوا الحشائش والاشجار، وحطموا زجاج النوافذ وزجاج أجهزة التسخين الشمسي، واطلقوا النار على الفتاة ابتسام بوذية (١٣ عاماً)، فقتلت في الحال، وحاولوا قتل غسان